ظاهرة الخوف من الإسلام في الغرب (الاسلاموفوبيا) ومواجهتها فكرياً

د. ياسين مهدي صالح

Islam Phobia confronting it intellectually

PhD Yaseen Mahdi Salih

The researcher talked about this horrified phenomena that the west trying to stick it on Islam ,and he showed it falsified against Islam and Islam exempt of it ,The Islam Phobia in scientific and specially western society is an old and new at the same time ,during Islam was rising and spreading ,its enemy worked hard to conquer it in various ways, by , distort it to keep people away from it and scarify them of it ,and this increased in our modern times .the researcher mentioned too to the distoration crusades against Prophet (Muhammad) earlier and afterwards ,,trying to pull people away of Him ,the researcher showed that this phenomena is very complicated in range and it needs all Islamic Nations efforts to vanish this endemic phenomena in the western society ,and he showed the ways that could follow to get rid of this phenomena

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى اله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين، لما كان الحديث عن الاسلاموفوبيا أو رهاب الإسلام فيه إجحاف وتمييز ضد الإسلام والمسلمين، كان لابد من تسليط الضوء على هذه الظاهرة المرضية والجذور الحقيقة لها، ووضع مفاهيمها وخلفياتها في ميزان الحق لنتبين هل هي حقيقة أم وهم عملت على بثه مؤسسات إعلامية وأقلام تريد تحجيم المد الإسلامي المتنامي وترهيب الناس منه برسم صورة مخيفة عن الإسلام في أذهان ومخيلة شعوب تستقي ثقافتها ومفاهيمها بالدرجة الأولى من ذلك الإعلام وتلك الأقلام التي جانبت الموضوعية في كثير مما تعرضه وتخبر عنه وتكتبه، أو أنها تحاول تقزيم الفكر الإسلامي واختزاله بأفعال وأقوال المتطرفين من أبنائه، والذين لا يخلو منهم مجتمع أو دين، وتصوير الإسلام على انه تلك الأقوال والأفعال، والتعامي المتعمد عن رؤية التاريخ والحاضر الإسلامي العريض، والصمم عن سماع تلك الأفكار والأصوات التي تدعوا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والتي لا تكره أحدا على الدين والنظر، وتحفظ الحقوق وتؤدي الواجبات في تعايش سلمي مع الأديان والأعراق لم يكن له مثيل في التأريخ، ولما كان ميدان الفكر سلاحه الحقائق جاء هذا البحث لينضم إلى جهود سابقة وأخرى لاحقة في دعم مسيرة الفكر الإسلامي الحقيقي الذي ينأى بنفسه عن ردات الفعل التي تحاول إشغاله بمهاترات فكرية عن طبعه المعطاء، ولبيان حقيقة الاسلاموفوبيا ومواجهتها فقد سلك الباحث إلى ذلك عدة مباحث، أولها: الاسلاموفوبيا وحقيقتها، والثاني الجذور الحقيقية لظاهرة الاسلاموفوبيا، والثالث مواجهة الاسلاموفوبيا فكريا، والله تعالى اسأل أن يرزقني السداد في القول والإخلاص في العمل، انه ولي التوفيق.

مشكلة البحث:

دراسة ظاهرة ليست وليدة اليوم أو الأمس القريب إنها ظاهرة الخوف المرضي من كل ما يمت إلى الإسلام بصلة، والترهيب منه ومن أهله، حيث تفشت هذه الظاهرة في المجتمعات الغربية وتوسعت حتى تأثر بها علمانيو الوطن العربي، فأخذ الباحث على عاتقه دراسة واستقراء هذه الظاهرة ــ الاسلاموفوبيا ــ تاريخيا والبحث في أسبابها وصورها، ومن ثم كيفية مواجهتها والحد منها فكريا.

أهداف البحث:

محاولة تشخيص ظاهرة الاسلاموفوبيا تشخيصا دقيقا ليتسنى وضع الحلول الناجعة التي تحول دون المزيد من العداء والصراع بين الإسلام والغرب، وتوضيح صورة الإسلام الحقيقية التي حرص المستشرقون ومن ورائهم ساسة الغرب على تشويهها لضمان عدم انتشار الإسلام في الغرب وزعزعة الثقة بين الإسلام وأهله.

المبحث الأول: الإسلاموفوبيا، حقيقتها، ومظاهرها.

يعد مصطلح "الإسلاموفوبيا" من المصطلحات الحديثة التداول حول علاقة الغرب بالإسلام، وقد تم نحت المصطلح الذي استعير في جزء منه من علم الاضطرابات النفسية للتعبير عن ظاهرة الرهاب أو الخوف المرضي من الإسلام. فمصطلح "الفوبيا"[1] أو الرهاب، مستمد في الأصل من علم الأمراض النفسية، ليتم التعبير بواسطته عن نوع من أنواع العصاب القهري، بحيث لا يملك المريض القدرة

---

(١) "فوبيا"، وهي كلمة يونانية، وتعني الخوف من شيء ما، لذا لزم وصلها مع كلمة أخرى، تبين ما يراد وصفه من حالة مرضية بصورة مفصّلة، مثل: (فوبيا الظلام، وفوبيا الأماكن الضيقة، وفوبيا الحشرات، وغيرها الكثير من المخاوف المرعبة التي تعود أسبابها إلى محيط وغريزة الإنسان) والفوبيا هي واحدة من أمراض الخوف غير الطبيعي حيث يصاب المريض بنوبات الهلع والذعر الشديد ويعرف مرض الخوف غير الطبيعي أو الفوبيا على أنه خوف كامن مزمن وغير مبرر وغير منطقي من شيء أو مكان أو سلوك معين يؤدي لقيام المريض بمحاولات واضحة للهروب من موقف، أو لمواجهة الشيء أو الظرف الذي يعتبره المريض خطرا على حياته. للاستزادة ينظر: مازن مريزة، فوبيا الإسلام، جريدة الرفاعي نت الالكترونية، شبكة المعلومات العالمية على الرابط: http://alrefiey.net/ar/index.php/permalink/2473.html. ومقال د. احمد الشيشاني،= =ماهي الفوبيا ، أنواعها، اسباب الإصابة بها، وسبل العلاج منها، مجلة الابتسامة، شبكة المعلومات العالمية على الرابط: http://www.ibtesama.com/vb/showthread-t_7098.html.

علـى الـتحكم فـي ردود أفعالـه عنـد تعرضـه لموضـوع خوفـه، فيضـيق صـدره ويجـف ريقـه وتتزايـد ضـربات قلبـه ويشـحب وجهـه وتـرتعش أطرافـه، ليـدخل فـي حالـة فعليـة مـن الفزع غير المسيطر عليه[١].

كمـا تجـدر الإشـارة أيضـاً إلـى أن مخـاوف المـريض بالرهـاب فـي الحقيقـة لا تسـتند إلـى تهديـد جـدي وفعلـي فـي أغلـب الحـالات، كـأن يخـاف المـرء مـن قطـة صـغيرة أليفـة، أو مـن مكـان مرتفـع لا مجـال لسـقوطه منـه، أو مـن وجـوده فـي قاعـة مكتظـة بأشـخاص ودوديـن لا يمكـن أن يشـكلوا خطـراً عليـه، ... الـخ. وهـذا يعنـي أن المـرض يعبـر فـي حقيقتـه عـن اضـطراب نفسـي وإدراكـي، لعـل بالإمكـان عـزوه إلـى أسـباب متعـددة، ربمـا كـان مـن أبرزهـا معايشـة خبـرات مؤلمـة تتعلـق بموضـوع الرهـاب، وبخاصـة فـي مرحلـة الطفولـة المبكـرة، حيـث تتسـرب تلـك الخبـرات غيـر السـارة إلـى مـا يعـرف بـاللاوعي عنـد الإنسـان، ليقـوم عنـد مواجهتـه لموضـوع خوفـه، وبصـورة غيـر إراديـة يصـعب السـيطرة عليهـا، باستحضـار مظـاهر الاضـطراب التـي عايشـها عنـد التعرض لتلك الخبرات للمرة الأولى، وبشكل قد يكون أكثر تضخماً وحدة[٢].

وعليـه فالإسـلاموفوبيا هـي العـداء والخـوف والرهـاب مـن كـل مـا هـو إسـلامي، أو يمـت بصـلة قريبـة أو بعيـدة للإسـلام حتـى أصـبح مـرادف الإسـلام فـي قـاموس العقـل الغربـي "الإرهـاب"، أو هـي الخـوف مـن كـل مـا هـو إسـلامي، يقـول جـاك شـاهين: " لقـد دلـت أبحـاثي علـى أن كلمتـي " عربـي " و " مسـلم " تثيـران ردود فعـل عدائيـة يصـعب معهـا علـى الجمهـور أن يميـز الحقيقـة مـن الخيـال، وربمـا لـم يتعـرض أي شـعب فـي العـالم نتيجـة ذلـك إلـى هـذا المـدى مـن سـوء الفهـم كمـا يتعـرض أل ٢٧٠ مليـون عربي"[٣].

---

(١) ينظر: جواد طالب، مجلة الحوار المتمدن، محور: الطب والعلوم، العدد: ١٢٦٠ - ٢٠٠٥ / ٧ / ١٩، شبكة المعلومات العالمية على الرابط:
.http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=41398

(٢) د٠علاء فرغلي استشاري الطب النفسي، الرهاب – الفوبيا (المخاوف المرضية)، مجلة النفس المطمئنة السـنة الثامنـة عشـر –العـدد (٧٤) أبريـل/ ٢٠٠٣، شـبكة المعلومـات العالميـة علـى الـرابط:
.http://www.elazayem.com/new/azayem2/mental%20peace(74).htm

(٣) نقلا عن: د. عبد القادر طاش، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، الزهراء للإعلام العربي القاهرة . مصر . ١٤١٤هـ . ١٩٩٣م ط٢ ص٨.

ومن هنا يمكننا القول بان ظاهرة الاسلاموفوبيا قديمة جديدة، قديمة قدم الدين الإسلامي نفسه، وإن كانت قد تصاعدت حدتها في عالم اليوم، وبخاصة في دول الغرب بعد التفجيرات الشهيرة التي شهدتها الولايات المتحدة الأمريكية في الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١م[١]، والتي أسندت إلى تنظيم القاعدة.

ومن الأمثلة العارضة على هذه الظاهرة ما نشره التنويري الفرنسي الشهير (فولتير) في أواسط القرن الثامن عشر الميلادي في كتاب له بعنوان: (التعصب أو النبي محمد)، وصف فيه الرسول ρ بأنه "منافق وخداع ومحب للملذات الجسدية ومستبد"[٢]. وقبل ذلك بقرون، في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي تحديدا، كانت ملحمة (الكوميديا الإلهية) لكاتبها (دانتي أليغري) قد تطاولت على شخص رسول الإسلام وصورته بما لا يليق به. وهو ما كرر فعله الكاتب الهندي (سلمان رشدي) عندما نشر سنة ١٩٨٨م روايته الشهيرة (آيات شيطانية)، التي حظيت وصاحبها وما يزالان بدعم الغرب وحمايته وتكريمه، بدعوى الانتصار لحرية التعبير[٣].

وتأتي الرسومات الكاريكاتورية التي نشرتها صحيفة (يولاندز بوسطن) الدنماركية في الثلاثين من شهر أيلول عام ٢٠٠٥ لتنضاف إلى قائمة الإساءات المتعمدة ضد الإسلام ورموزه. فقد نشرت تلك الصحيفة ١٢رسماً هزلياً للرسول محمد ρ، وصفت من جانب الكثيرين بأنها في منتهى الصفاقة والانحطاط. واقترن

---

(١) هي مجموعة من الأحداث التي شهدتها الولايات المتحدة في يوم الثلاثاء الموافق ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م. حيث تم تحويل اتجاه أربع طائرات نقل مدني تجارية وتوجيهها لتصطدم بأهداف محددة نجحت في ذلك ثلاث منها، الأهداف تمثلت في برجي مركز التجارة الدولية بمنهاتن ومقر وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون). سقط نتيجة لهذه الأحداث ٢٩٧٣ ضحية و ٢٤ مفقودا، إضافة لآلاف الجرحى والمصابين بأمراض جراء استنشاق دخان الحرائق والأبخرة السامة. ينظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا، أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ، شبكة المعلومات العالمية على الرابط: http://ar.wikipedia.org/wiki.

(٢) "نظرة الغربيين للإسلام: جانب من الدراسات الغربية التي تناولت الإسلام"، مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني (بلاغ) على الرابط التالي:
http://www.balagh.com/mosoa/garb/uq0xm36j.htm.

(٣) ينظر: عبد الله يوسف سهر محمد، مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، العدد٥٧ ٢٠٠١م ط١ص١٠.

نشر تلك الرسوم مع مقال لرئيس تحرير الصحيفة يعرب فيه عن دهشته واستنكاره لهالة القداسة التي يتوج بها المسلمون نبيهم، معتبراً أن ذلك لا يعدو كونه ضرباً من ضروب الهراء المستند إلى جنون العظمة، وداعياً إلى التحلي بالشجاعة للإقدام على كسر ذلك (التابو)، عن طريق فضح (التاريخ المظلم) لصاحب الرسالة الإسلامية، وإبراز حقيقته إلى الرأي العام العالمي![1].

وبطبيعة الحال، لم تقف تلك الاتهامات المغرضة عند حدود الرسول ρ، بل تعدته لتطال الإسلام أيضاً، الذي اتهم من بعض الحاقدين بأنه دين مادي لا يأخذ الأبعاد الروحية بعين الاعتبار، وأنه دين دموي قام وانتشر بقوة السيف، وأنه دين يخلو من الأصالة فيسرق أفكاره من الأديان السابقة عليه كاليهودية والمسيحية... الخ. يقول "المسيو كيمون ": (إن الديانة المحمدية جذام نشأ بين الناس. واخذ يفتك بهم فتكا ذريعا. بل هي مرض مريع وشلل عام وجنون وذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل ولا يوقضه منهما إلا سفك الدماء. وان يدمن على معاقرة الخمور ويجمع القبائح. وما قبر محمد في مكة إلا عمود كهربائي يبعث الجنون في رؤوس المسلمين ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الهستريا (الصرع) العامة والذهول العقلي، وتكرار لفظة الله إلى ما لا نهاية. والتعود على عادات تنقلب إلى طباع متأصلة ككراهة لحم الخنزير والنبيذ والموسيقى... وان الواجب إبادة خمسهم، والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة، مع تدمير الكعبة ، ووضع ضريح محمد في متحف اللوفر)[2].

هذا الحشد من الأفكار الاسلاموفوبية نتج عنها في فكر " رونيميد تروست " . على سبيل المثال ـ مجموعة متنوعة من الآراء التي عبر عنها قائلا[3]:

. الإسلام كتلة وحدانية معزولة، جامدة وغير مستجيبة للتغيير.

---

(١) ينظر: فهمي هويدي،. "إهانة نبي الإسلام تجدد السؤال: من يكره من؟"، جريدة الشرق الأوسط، العدد ٩٩١٣ (١٨ كانون الثاني ٢٠٠٦).

(٢) شوقي أبو خليل الإسلام في قفص الاتهام، دار الفكر دمشق . سورية . ١٤٠٢ هـ . ١٩٨٢م، ط٥ ص١٤.

(٣) ينظر: مقال مشاعر ساكنة، الإسلام ليس مئذنة .. أنه عقيدة، شبكة المعلومات العالمية على الرابط: http://www.ar7aif.net/vb/showthread.php?t=935

ـ الإسلام مميز وغريب، وليس لديه قيم وأهداف مشتركة مع الثقافات الأخرى. لا يتأثر بها، ولكنه يؤثر فيها.

. الإسلام أدنى من الغرب، وحشي، غير عقلاني، بدائي ومتحيز ضد النساء.

ـ الإسلام دين يتسم بالعنف والعدوانية ، تهددي ، يدعم الإرهاب وفعال في حرب الثقافات.

. الإسلام هو الأيديولوجية السياسية، تستعمل لأهداف سياسية أو عسكرية[١].

أما تاريخ استخدام هذا المصطلح فانه يعود إلى سنة ١٩٨٧م، وأول محاولة لتعريف هذا المصطلح ترجع إلى عام ١٩٩٧م عندما حدد البريطاني رونيميد تروست في تقرير له: " أن الإسلاموفوبيا كالعداء غير المبرر للإسلام، وبالتالي الخوف أو الكراهية تجاه كل أو معظم المسلمين ". وأول من استعمل اللفظ من الكتاب الفرنسيين " ماليه إميل " في مقال بعنوان "ثقافة ووحشية" نشره في جريدة ليموند الفرنسية سنة ١٩٩٤م، إذ تحدّث عن " صنف من الإسلاموفوبيا الزّاحفة"[٢]. ثّم وجدت هذه العبارة استخداما دوليا كبيرا، وخاصة من جانب الجماعات الإسلامية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول سنة ٢٠٠١م[٣].

هذا الشعور الاسلاموفوبي هو في تنامي وتزايد في المجتمعات الغربية يظهر ذلك من الزيادة المطردة في استخدامه خلال السنوات الأخيرة بشكل عام، والجدول التالي يرصد عدد مرات ظهور المصطلح في بعض أكثر الجرائد الغربية شهرة ونفوذا للسنوات من ٢٠٠١ . ٢٠٠٦م اعتمادا على دائرة البحث الإلكترونية الأمريكية Lexis Nexis[٤]:

---

(١) ينظر كذلك للاستزادة: د. محمد عمارة: الإسلام في عيون غربية (بين افتراء الجهلاء .. وإنصاف العلماء)، دار الشروق القاهرة مصر بدون تاريخ، ص٦٢ . ٦٣.

(٢) ينظر: فوبيا الإسلام لمازن مريزة، جريدة الرفاعي نت الالكترونية مرجع سابق.

(٣) ينظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا، إسلامو،فوبيا، شبكة المعلومات العالمية على الرابط:http://ar.wikipedia.org/wiki/.

(٤) ينظر: صعود الاسلاموفوبيا في المجتمعات الغربية، مدونة النضال ضد الطابور الخامس، شبكة المعلومات العالمية على الرابط: http://anti-tabour-5.blogspot.com.

الصحيفة / السنة	٢٠٠٦	٢٠٠٥	٢٠٠٤	٢٠٠٣	٢٠٠٢	٢٠٠١
تايمز (بريطانية)	٩٢	٤٤	٣٤	١٣	١٢	١٢
غارديان (بريطانية)	٣٨	٤٤	٥٠	٢٠	٢٩	١٤
إندبندنت (بريطانية)	٣٠	٤٢	٣٧	١١	١٥	٢٢
تورنتو ستار (كندية)	٣٨	١٨	١١	١	٣	٣
نيويورك تايمز (أميركية)	١٠	٤	٧	٣	٢	٢
واشنطن بوست (أمريكية)	٥	٥	٢	٢	٣	٢

لقد عبرت ظاهرة الخوف المرضي من الإسلام " الاسلاموفوبيا" عن نفسها بجملة من المظاهر، يمكن إجمالها بما يلي:

١ـ الطعن في رسالة الإسلام والتشكيك بنبوة الرسول ρ: منذ انبعاث رسالة الإسلام، لم تكد تتوقف الأصوات التي تشكك بصحة تلك الرسالة وصدق صاحبها عليه الصلاة السلام. فقد تعرض الإسلام منذ بزوغ نجمه إلى حملة شرسة من جانب كثير من قبائل العرب واليهود لمحاربته وإجهاض دعوته. حيث أسند إلى الرسول الكريم الكثير من الصفات والنعوت الباطلة التي تطعن فيه على المستوى الشخصي، وترميه بالكذب والجنون والكهانة والسحر والاستبداد والتهالك على الشهوات... الخ. والتاريخ يعيد نفسه حيث يروج في الغرب اليوم بان ما جاء به النبي ρ من أخبار الأمم السابقة وقصصهم هو مما استفاده من معاشرته لليهود والنصارى، وان بعض أساليب التعبير لم تكن معروفة عند العرب مثل: ذاق الموت، ونفخ في الصور، وفي آذانهم وقر... والادعاء بأنّ النبي ρ ما كان نبيا ولا

رسولا وأنّ إخباره بالغيب كان عن طريق التجسس وسرعة نقل الأخبار بطريقة لم يوفق أحد من المتحضرين إلى اليوم إلى كشفها وغير ذلك كثير[١].

٢ ـ إثارة النزاعات بين المسلمين:

ما انفكت الدول الغربية، والاستعمارية منها بوجه الخصوص، تبدي حرصاً واضحاً على تسليط الأضواء على مواطن الاختلاف القائم على أسس دينية في العالم الإسلامي والعمل على تضخيمها وتطويرها سعياً إلى إثارة الصراعات بين المسلمين أنفسهم من جانب، والمسلمين والأقليات غير المسلمة من جانب آخر. سيما بعد تشظية المشرق العربي إلى دويلات ضعيفة عقب توقيع معاهدة سايكس بيكو عام ١٩١٦م.

ويكاد المسلسل ذاته يتكرر في العراق في ظل الهيمنة الأمريكية عليه منذ عام ٢٠٠٣م إذ يقف العراق على شفير حرب أهلية طاحنة، مردها الخلافات السياسية والطائفية والمذهبية، التي يسهم الأمريكان بتحالفاتهم المغرضة وتوجهاتهم المنحازة في تأجيج اشتعالها[٢]. يقول زويمر في مؤتمر التبشير في لكهنؤ بالهند ١٩١١م إن الانقسام السياسي الحاضر في العالم الإسلامي دليل بالغ على عمل يد الله في التاريخ واستثارة للديانة المسيحية كي تقوم بعملها[٣].

٣ـ السعي إلى إذلال بلاد المسلمين واحتلالها:

إن المجازر التي ارتكبها (الصليبيون) في المدن الإسلامية خلال الحروب الصليبية قد لا تعكس مجرد الخوف المرضي من الإسلام وأتباعه، بل تعكس درجة متقدمة من الحقد والرغبة في الانتقام. وكأن في الانتقام الدموي البشع من المسلمين ضرباً من ضروب التعويض عن الخوف المزمن منهم ومن دينهم. فقد روى عن أحد شهود العيان من رهبان الفرنجة الذين شهدوا احتلال (الصليبيين) لمدينة القدس سنة ٤٩٢ هـ قوله: "كان قومنا يجوبون الشوارع والميادين وسطوح البيوت ليرووا

---

(١) ينظر: أحمد عبد الرحيم السايح، الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية – القاهرة – مصر ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م ، ط١ ص٢٧وما بعدها.

(٢) ينظر: باسيل يوسف بجك، "قراءة قانونية لمستقبل وحدة شعب العراق"، المستقبل العربي، العدد ٣٢٣ (كانون الثاني ٢٠٠٦)، ص ١٠٠– ١٠٤.

(٣) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي – الرياض – ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م ط٢ ص١٦٨.

غليلهم من التقتيل، وذلك كاللبؤات التي خطفت صغارها! كانوا يذبحون الأولاد والشباب، ويقطعونهم إرباً إرباً، وكانوا يشنقون أناساً كثيرين بحبل واحد بغية السرعة، وكان قومنا يقبضون كل شيء يجدونه فيبقرون بطون الموتى ليخرجوا منها قطعاً ذهبية !!! فيا للشره وحب الذهب، وكانت الدماء تسيل كالأنهار في طرق المدينة المغطاة بالجثث"(١).

ويصف راهب آخر المجزرة نفسها دون أن يخفي شماتته بقوله: "حدث ما هو عجيب بين العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها، فقد قطعت رؤوس بعضهم، فكان هذا أقل ما يمكن أن يصيبهم، وبقرت بطون بعضهم؛ فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار، وحرق بعضهم في النار؛ فكان ذلك بعد عذاب طويل، وكان لا يرى في شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم، فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم، ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض ما نالوا"(٢).

ويبدو أن لهب تلك (الصليبية) الحاقدة على الإسلام والمذعورة منه لا يزال يستعر في أحشاء العالم الغربي حتى أيامنا، وربما كان هذا يفسر جزءاً من الهوس الغربي بمحاربة المسلمين وإخضاعهم إلى هيمنته. وهو ما ترجم على شكل عشرات الحملات والمؤامرات الاستعمارية التي انتهت باحتلال معظم أرجاء العالم الإسلامي وتمزيق وحدته، بإسقاط الخلافة الإسلامية العثمانية عام ١٩١٨م. وتتعدد الشواهد التي تؤكد استمرارية حضور الذهنية التي انطلقت منها (الحروب الصليبية) في أعماق الكثيرين من أبناء الغرب حتى عصرنا الحديث. فعلى سبيل المثال، عندما احتلت القوات البريطانية مدينة القدس سنة ١٩١٧م بقيادة الجنرال (اللنبي) الذي كان أول غربي يدخل المدينة منذ تحريرها على يد صلاح الدين الأيوبي، هتف (اللنبي) معلناً : "الآن انتهت الحروب الصليبية"(٣). وعندما اجتاحت القوات الفرنسية

---

(١) نقلا عن: لوبون، غوستاف. حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة - مصر - سنة ٢٠٠٠م ط٢، ص ٣٢٥.

(٢) نقلا عن: حضارة العرب، للوبون، غوستاف، مرجع سابق ص ٣٢٦.

(٣) زكي الميلاد، نحن والعالم: من أجل تجديد رؤيتنا إلى العالم، مؤسسة اليمامة الصحفية الرياض . المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٥، ص ٩٠.

مدينة دمشق بعد انتصارها في معركة ميسلون عام ١٩٢١، توجه قائد القوات الفرنسية الجنرال (غورو) إلى قبر صلاح الدين الأيوبي قائلاً "أنظر يا صلاح الدين ها قد عدنا"[١]. ويقال أن في جنوب فرنسا، وفي المكان الذي انطلقت منه الحروب الصليبية على وجه التحديد، جمعية تعقد اجتماعاً دورياً كل عام حتى يومنا هذا لاستحضار الأجواء التي احتضنت ولادة الحروب الصليبية، حيث يتم في الاجتماع إلقاء الخطب المحاكية لخطبة البابا " أوربان الثاني " الذي أعلن عن انطلاق تلك الحروب، كما يجري إعادة تمثيل انطلاق الحملة الصليبية الأولى[٢].

وتشكل زلة اللسان الشهيرة للرئيس الأمريكي السابق "جورج بوش الابن" التي انزلق فيها إلى القول بأن حربه على الإرهاب بعد تفجيرات الحادي عشر من أيلول هي حرب صليبية مؤشراً مهماً على استيطان فكرة الحروب الصليبية في أذهان كثير من رجال السياسة في لعالم الغربي، وتعبيراً عن إرث غربي قديم يتم توارثه[٣]، وبخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية[٤]، التي شهدت بعد تلك تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١مإستحضاراً صاخباً لتلك الفكرة[٥]. فعلى سبيل المثال، يجاهر القس الأمريكي (فيليب بينهام) بالدعوة عبر منابر الإعلام إلى إطلاق "الحملة الصليبية ضد الشر لإنقاذ الولايات المتحدة... عن طريق كشف

---

(١) نحن والعالم من أجل تجديد رؤيتنا إلى العالم لزكي الميلاد مرجع سابق ص٩٠.

(٢) نفسه ص ٩١.

(٣) يزخر كتاب نشره جورج بوش الجد عام ١٨٣١ بعنوان (حياة محمد) بالحقد على الإسلام والمسلمين، حيث نقرأ في الكتاب: " ما لم يتم تدمير إمبراطورية المسلمين، فلن يتمجد الرب بعودة اليهود إلى وطن آبائهم وأجدادهم".

ـ ينظر: منير العكش، حق التضحية بالآخر.. أمريكا والإبادات الجماعية، دار رياض الريس للكتب والنشر، بيروت ـ لبنان ـ ٢٠٠٢، ص ١٤٩.

(٤) للأبعاد الدينية، وبخاصة المستمدة من مقولات العهد القديم (التوراة)، حضور واضح في أروقة صنع السياسة الأمريكية منذ زمن بعيد يتزامن مع قيام الولايات المتحدة الأمريكية نفسها.

ـ للتوسع في هذا الموضوع، ينظر: يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الأمريكية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ـ لبنان ـ سنة ٢٠٠٠م.

(٥) مراد بطل الشيشاني، "المجتمع الأمريكي بعد ١١ سبتمبر"، مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني (الجزيرة) على الرابط التالي: http://www.aljazeera.net/NR/exeres/647C5FC5-657D-465D-A995-09D53CF8D25F.htm

كذبة اسمها الإسلام"[1] على حد قوله، معلناً أن "النبي محمد ذبح الملايين منذ ظهوره مطلع القرن السابع"[2].

٤ـ تفعيل أنشطة التنصير:

هناك علاقة طردية بين ازدياد المخاوف الغربية من الإسلام وتصاعد وتيرة الأنشطة التنصيرية فلو استعرضنا شيئا عما عرفت تاريخياً بمحاكم التفتيش، والتي أول ما قامت به هو جمع كل المصاحف والكتب العلمية والدينية وإحراقها على الملأ في ساحة عامة، كخطوة أولى لتنصير المسلمين بقطع صلتهم مع كتبهم الدينية والتراثية والعلمية. ثم عمدت عقب ذلك إلى تحويل المساجد إلى كنائس، وإجبار من تبقى من الفقهاء وأهل العلم على التنصر، ليوافق بعضهم مكرهاً ويواجه بقيتهم القتل شر قتلة، مع التمثيل بجثث الضحايا، وذلك لبث الهلع في صفوف المسلمين وإيصال رسالة لهم مفادها التخيير بين التنصر أو التعذيب والقتل وسلب الأموال والممتلكات[3]، لو استعرضنا ذلك لسهل علينا تفسير ما يجري في عالم اليوم، حيث تشهد عطية التنصير نشاطاً محموماً في العالم الإسلامي، وبخاصة في البلدان الفقيرة التي تعاني من عدم الاستقرار السياسي، التي يؤمن الغرب أنها تشكل بيئة مناسبة لتفريخ الإرهاب. ففي أفغانستان وحدها على سبيل المثال، هناك حالياً ما لا يقل عن (١٠٠٠) منظمة أمريكية وأوروبية تعمل في مجالات الإغاثة والتنمية، يمارس كثير منها أنشطة تبشيرية مختلفة. الأمر الذي دفع القس (بن هومان) رئيس إرسالية التنصير المسيحي المجرية إلى أن يصرح في عام ٢٠٠٣م، وبعد زيارة استطلاعية استغرقت شهراً كاملاً، عن اعتقاده بنجاح "عقيدة التثليث" في تثبيت أقدامها، وعن إمكان نجاح برنامج التنصير في أفغانستان[4].

---

(١) نفسه.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر: "الأندلس بعد سقوط غرناطة: ماذا حدث لأمة الإسلام وفارس الأندلس الأخير، مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني (الأندلس للأخبار) على الرابط التالي:
http://press.arabandalucia.com/?p=1081

(٤) حفيظ الرحمن الأعظمي، "أخطبوط التنصير يجتاح أفغانستان"، مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني (الحقائق) على الرابط التالي:http://www.alhaqaeq.net.

المبحث الثاني: الجذور والأسباب الحقيقية لظاهرة الاسلاموفوبيا.

إن لظاهرة الاسلاموفوبيا جذور وأسباب متعددة تتظافر فيما بينها لإبرازها بالصورة التي نحن بصدد تسليط الضوء عليها، من هذه الجذور والأسباب التي تقف وراء هذه الظاهرة ما يلي:

١ـ الصراع التاريخي بين الإسلام والغرب، فمنذ ظهور الإسلام بدأ العداء له، والتهجم عليه، والافتراء على رسوله، وقد سجل القرآن الكريم، قال تعالى: (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ)[١]، وقال تعالى: (وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا][٢]، وغير ذلك من الآيات التي تحدثت عن تاريخية الصراع الغربي مع الإسلام[٣]، وهذا ما اعترف به كثير من الغربيين يقول (جلوب باشا): إن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط . مشكلة الغرب مع الشرق الأوسط . إنما تعود إلى القرن السابع للميلاد[٤]. إي إلى ظهور الإسلام فقد كان للفتوحات الإسلامية التي بدأت منذ عهد الرسول ρ، وتوسعت على امتداد قرون طويلة لاحقة، قد شكلت بما ارتبط بها وتمخض عنها من دحر جحافل الروم وتهديم معاقلهم في المناطق التي دخلها الإسلام، أُولى وأبرز الخبرات المؤلمة التي تعرض لها الغرب في علاقته بالعالم الإسلامي[٥]، تلك الخبرات التي غرست بذور الخوف من الإسلام في ذهنيته، وجعلته يطور نزوعاً مرضياً يحكم تفاعله مع الإسلام وأتباعه. فعلى سبيل المثال، وبعد الهزيمة المنكرة التي منيت بها جيوشه الجرارة في معركة اليرموك في السنة السادسة عشرة للهجرة، التي ترتب عنها جلاء الاحتلال الرومي عن المنطقة العربية حيناً من الدهر، أثر عن (هرقل) عظيم الروم قوله: "السلام عليك يا سوريا، سلاماً

---

(١) البقرة : ١٠٩.

(٢) البقرة : ٢١٧.

(٣) ينظر: الأنفال : ٣٦ ، الصف : ٨.

(٤) ينظر: أ.د. محمد عمارة، الإسلام والغرب افتراءات لها تاريخ (دراسة حول الإساءات الغربية الأخيرة للإسلام)، مركز الإعلام العربي الجيزة . مصر. ١٤٢٧ هـ . ٢٠٠٦م، ط١ ص٧ . ٨.

(٥) الإسلام والغرب افتراءات لها تاريخ د. محمد عمارة، مرجع سابق ص١٩ وما بعدها.

لا لقاء بعده، ونعم البلد أنت للعدو وليس للصديق، ولا يدخلك رومي بعد الآن إلا خائفاً"[١].

ويزخر التاريخ بسلسلة لا تكاد تنتهي من الخبرات المؤلمة التي اتخذت طابعاً دموياً في كثير من الحالات، وكرست النظرة المرتابة؛ بل العدائية من جانب الغرب. وهو الوريث الشرعي للإمبراطورية الرومانية. حيال الإسلام وأهله. إذ لم تتوقف تلك الخبرات المؤلمة عند حدود معركة اليرموك ١٢هـ . ٦٣٣م المشار إليها بكل تأكيد[٢]، بل تعدتها إلى سلسلة طويلة من مواقف المجابهة العنيفة، التي سجلها التاريخ في العديد من المعارك الحاسمة التي جسّد بعضها؛ أو كاد تهديداً جدياً للعالم الغربي، كفتح الأندلس سنة ٩١ هـ، ومعركة بلاط الشهداء (لابواتيه) سنة ١١٤هـ، التي لو انتصر المسلمون فيها لدخل الإسلام إلى باريس نفسها[٣]، وفتح القسطنطينية على يد العثمانيين سنة ٨٥٧ هـ[٤]، ...الخ، قائمة لا تكاد تنتهي من وقائع الصراع الدامي بين الجانبين.

---

(١) أحمد تمام، معركة اليرموك وانحسار دولة الروم، مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني (إسلام أون لاين) على الرابط التالي: http://www.islamonline.net/Arabic/history/

(٢) ينظر للاستزادة: بطرس البستاني، معارك العرب في الشرق والغرب، دار مارون عبود، بيروت ـ لبنان ـ سنة ١٩٨٧م طبعة جديدة ص٢٧ . ٣٨.

(٣) هي المعركة التي قادها القائد العربي المسلم عبد الرحمن الغافقي وذلك في السابع من شعبان عام ١١٤هـ – ٧٣٢م وهزم فيها المسلمون وتأخر بهذه الهزيمة الفتح الإسلامي لأوربا من الغرب ، كما تأخر الفتح لقلب أوربا من الشرق وقد كانت تعيش في الظلام.

(٤) رغم التسامح الإسلامي الكبير، حيث عبر السلطان محمد الفاتح عن روح التسامح الإسلامي حين فتح القسطنطينية مقر البطريركية الأرثوذكسية في الشرق كله، فقد أعلن يومئذ تأمين سكانها على أموالهم وأرواحهم وعقائدهم وصلبانهم وأعفاهم من الجندية، ومنح رؤساءهم سلطة التشريع والفصل في الخصومات التي تقع بين رعاياهم، دون أن تتدخل الدولة فيها، وترك للنصارى كنائسهم يتعبدون فيها، ويعامل قساوستهم بإكرام واحترام، مما جعل بعض هؤلاء القساوسة يقول: لقد لاقينا من الحفاوة والتكريم، ما لم نلقه من إخواننا من أهل ديننا النصارى. فرأى في ذلك سكان القسطنطينية فرقاً كبيراً بين ما كانوا يعاملون به في عهد البيزنطيين وبين معاملة السلطان محمد الفاتح لهم، إذ كان البيزنطيون يتدخلون في الخلافات المذهبية ويفضلون أتباع كنيستهم على أتباع الكنائس الأخرى.= ="وقد وصف فولتير الفيلسوف الفرنسي الشهير موقف المنتصر المسلم من المهزوم المسيحي بقوله : إن الأتراك لم يسيئوا معاملة المسيحيين كما نعتقد نحن، والذي يجب ملاحظته أن أمة من الأمم

ويبدو أن التفاعل المباشر لأبناء الغرب مع المسلمين لعقود طويلة، سواء في سياق احتلالهم بعض الديار الإسلامية إبان ما عرفت عند بعض المؤرخين بالحروب الصليبية، أو في إطار استفادتهم عن طريق رحّالتهم وطلابهم من النهضة العلمية والحضارية التي ازدهرت في كثير من مدائن العالم الإسلامي، يبدو أنه لم يكن كافياً للنجاح في تبييض الصورة القاتمة التي رسموها في أذهانهم تجاه الإسلام وأتباعه، بوصفه ديناً دموياً لا يمكن أن يقترن إلا بالعنف والتخلف والإرهاب.

٢ـ الجهل بالإسلام: فللواقع إن هناك جهلاً صارخاً بحقيقة الإسلام، وبخاصة في العالم الغربي، الذي يستقي معلوماته عن الإسلام من مصادر قد تفتقر في كثير من الحالات إلى الموضوعية والنزاهة والتجرد، أو الإحاطة الكافية بحقيقة الإسلام وجوهره. فالمناهج المدرسية وحتى الجامعية في العالم الغربي، ما تزال مثقلة بكم هائل من المعلومات المغلوطة والمضللة عن الإسلام، التي تعود في جذورها إلى نتاجات المدرسة الاستشراقية، إحدى الأذرع التقليدية الرئيسة للاستعمار الغربي. التي يوجد من الشواهد ما يؤكد انطلاقها من مرجعيات قروسطية مصطبغة بروح الحروب (الصليبية)، لا ينقصها الكثير من التعصب والتحيز وتزييف الوقائع

المسيحية لا تسمح أن يكون للمسلمين مسجد في بلادها بخلاف الأتراك، فإنهم سمحوا لليونان المقهورين بأن تكون لهم كنائسهم، ومما يدل على أن السلطان محمد الفاتح كان عاقلا حكيًما تركه للنصارى المقهورين الحرية في انتخاب البطريق، ولما انتخبوه ثبته السلطان وسلمه عصا البطارقة، وألبسه الخاتم حتى صرح البطريق عند ذلك بقوله : إني أخجل مما لقيته من التبجيل والحفاوة، الأمر الذي لم يعمله ملوك النصارى مع أسلافي".

ـ ينظر: د. علي محمد الصلابي، السلطان محمد الفاتح وعوامل النهوض في عصره، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع – الإسكندرية – مصر، ص١٣٨ – ١٣٩.

ـ وينظر كذلك: د. مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ترجمة غريب محمد، مكتبة العبيكان الرياض . المملكة العربية السعودية ١٤١٨هـ . ١٩٩٧م ط٢ ص٢٣.

. وينظر علي بن نايف الشحود، موسوعة الأسرة المسلمة، من المكتبة الالكترونية الشاملة، الإصدار الثالث، ج٢ ص٩٣٦.

ولـّي أعنـاق الحقـائق لإثبـات مـزاعم وافتراضـات قَـْبليـة عاريـة عـن الصـحة[١] وهـو مـا نـذر المستشـرقون لـه أنفسـهم، فحبسـوها بـين الجـدران المختفيـة وراء أكـداس مـن الكتـب مكتوبـة بلسـان غيـر لسـان أممهـم التـي ينتمـون إليهـا، وهـم بـذلك ينتقـون مـا ينسـجم مـع الصـورة الشـائهة التـي أرادوا تصـويرها عـن الإسـلام مسـبقا، يقـول " مكسـيم رودنسـون":" وحـين كـان الغربيـون يـذهبون إلـى الشـرق كانـت تلـك الصـورة التـي يبحثـون عنهـا، فينتقـون مـا يرونـه بعنايـة، ويتجـاهلون كـل مـا لا ينسـجم مـع الصـورة التـي كونوهـا سابقا"[٢]،

وفـي هـذا الإطـار، يشـير أحـد البـاحثين إلـى "أن القليـل مـن إنتـاج المستشـرقين الجـدد، وهـو كثيـر فـي حـد ذاتـه، يـذهب إلـى صـانعي السياسـة والقـرار فـي الغـرب. بينمـا يـذهب الكثيـر مـن إنتـاجهم إلـى الـرأي العـام عـن طريـق أجهـزة متطـورة للإعـلام والدعايـة ليؤكـد صـوراً نمطيـة أو يشـوهها"[٣]. إن المستشـرقين كانـت لهـم يـد طـولى فـي تزايـد الكراهيـة ضـد العـرب والمسـلمين، الـذين نجحـوا مـن خـلال كتابـاتهم فـي إذكـاء أحقاد وعصبيات القرون الوسطى لدى الأوربيين من جديد[٤].

ويشـكل الجهـل بالإسـلام وحمـل تصـورات مغلوطـة عنـه، مـع مـا يترتـب عـن ذلـك مـن الحيلولـة دون تشـكل أرضـية ملائمـة لفهمـه وتفهمـه والتواصـل الإيجـابي مـع معتنقيـه، معلمـاً بـارزاً مـن معـالم الحيـاة فـي العـالم الغربـي. وربمـا كـان هـذا هـو مـا دفـع عضـو مجلـس النـواب الأمريكـي السـابق (بـول فنـدلي)، الـذي خبـر العـالم الإسـلامي عـن قـرب، إلـى أن يأخـذ علـى عاتقـه السـعي إلـى كسـر حـاجز الجهـل الغربـي

---

(١) للوقوف على الدور الخطير الذي لعبته المدرسة الاستشراقية في تزييف الوعي الغربي بحقيقة الإسلام.
ـ ينظـر: إدوارد سـعيد. الاستشـراق المفـاهيم الغربيـة للشـرق، ترجمـة د. محمـد عنـاني، رؤيـة للنشـر والتوزيع القاهرة . مصر . سنة ٢٠٠٦م ط١ ص٣٢٣ وما بعدها.

(٢) ينظر: علي بن إبراهيم النملة، مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض– المملكة العربية السعودية – سنة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م ص١٤.

(٣) ينظر: جميل مطر، "حوار الحضارات .. السياسي أولاً"، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٢٥ (آذار ٢٠٠٦)، ص ٥٧.

(٤) ينظر: عبد اللطيف الطيباوي، المستشرقون الناطقون بالانجليزية، ترجمة وتقديم قاسم السامرائي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية– المملكة العربية السعودية –١٤١١هـ – ١٩٩١م ص١٥٩ – ١٦٠ بتصرف.

بالإسلام، والعمل على تصحيح المفاهيم والصور النمطية الخاطئة المتصلة به، ودحض الأضاليل التي تستوطن أذهان الغربيين بشأنه، وبخاصة في المجتمع الأمريكي. ويجمل (فندلي) الأسباب التي تقف خلف أسباب تشويه صورة الإسلام وجهل الأمريكيين، والغربيين عموماً به، وتبنيهم صوراً نمطية مضللة عنه فيما يلي من أسباب[1]:

١ــ دور اللوبي اليهودي في تقديم صورة سيئة عن المسلمين، وتصوير (إسرائيل) على أنها دولة ضعيفة يهدد العرب والمسلمون أمنها ووجودها.

٢ــ الاقتصار على الحديث عن الأخلاق اليهودية والمسيحية في المجتمع الأمريكي، بوصفها الأخلاق العالية المقبولة الجديرة بالاتباع، مع تجنب الإشارة إلى الأخلاق الإسلامية، وتصويرها بشكل سلبي منفر في حال الحديث عنها ويذكر المؤلف لذلك عدة قصص منها : ما كانت تحكيه لهم معلمته في صغره ، عن المحمديين (أي المسلمون) وأنهم بدو قساة القلوب لا أخلاق لهم .. حتى غدت اليهودية والمسيحية في نظر الأمريكي أنموذجاً للتقدم والحضارة والأخلاق، وأصبح الإسلام تعبيراً عن القوة المتخلفة والخطرة.

٣ـ ربط الإسلام بالإرهاب والتعصب، واستعباد المرأة، وانعدام التسامح مع غير المسلمين، وانعدام الديمقراطية، وعبادة إله غريب وانتقامي.

٤ــ تخوف الغربيين من خطر إسلامي متصاعد، وخشيتهم من الحرب الإسلامية الغربية القادمة، وتغذية الهيئات الصهيونية لتلك المخاوف، حتى لا يتراجع الدعم الغربي للكيان الصهيوني في فلسطين.

٥ـ تركيز وسائل الإعلام الغربي على تصوير الحركات الإسلامية، وبخاصة حركات المقاومة، على أنها حركات إرهابية لا تحترم الديمقراطية وحقوق الإنسان. وعمل تلك الوسائل في بعض الأحيان على فبركة برامج يتم عن طريقها تضخيم دعوات بعض المسلمين إلى محاربة أمريكا و (إسرائيل) والغرب، وإخراج تلك الدعوات عن سياقها الأصلي. ومن هنا يمكن القول بأن الجهل بالإسلام قد يشكل سبباً أساسياً للخوف منه ومعادته، إلا أنه ليس السبب الوحيد بكل تأكيد.

---

(١) ينظر: مصطفى أبو المجد، قراءة في كتاب فندلي بول. من يجرؤ على الكلام، مدونة السهم شبكة المعلومات العالمية على الرابط: http://www.elaphblog.com.

ثالثاً : تضارب المصالح واختلاف المنطلقات القيمية: لقد جاء الإسلام ليشكل مشروع رؤية تجدد ما دأبت تعاليم السماء على الدعوة إليه والمناداة به منذ وجد الإنسان على الأرض، رؤية تقوم على تدمير معاقل التظالم بين البشر، ونشر قيم العدالة والأخوة والمساواة والفضيلة فيما بينهم. وبطبيعة الحال، كان من المحتم أن يصطدم ذلك المشروع بمصالح كثير من الفئات الانتهازية التي كانت تحرص على استمرار الأوضاع المختلة القائمة، بكل ما فيها من استغلال وظلم واعوجاج. فقد سجل التاريخ أن معرفة الكثيرين بالإسلام لم تحل دون الخوف منه ومناهضته، بل ربما يمكن القول إن تلك المعرفة قد كانت المدخل الرئيس لاتخاذ موقف سلبي منه. فاليهود في الجزيرة العربية على سبيل المثال، وهم الذين احترفوا العمل بالمرابأة والدعارة وتجارة الخمور... الخ، كانوا متأكدين من صدق النبي محمد ρ وصدق رسالته، حسب ما جاء في أسفارهم المقدسة من نبوءات قال تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)[1]. إلا أنهم أصروا على معاداة الإسلام والكيد له، استناداً إلى رفضهم التضحية بالمكاسب غير المشروعة التي لا يقرها الإسلام، التي كانوا يجنونها جرّاء استغلال الناس وإشاعة الرذيلة بينهم، وانطلاقاً من استكبارهم عن اتباع رسول ليس من أبناء جلدتهم، بعد أن انحصر كل الأنبياء المعروفين ضمن نطاق بني إسرائيل منذ عهد النبي إسحق عليه السلام. وقد انسحب الحال نفسه على كثير من زعماء قريش والعرب في بداية الدعوة الإسلامية، الذين رفضوا اتباع الرسالة المحمدية، ليس من منطلق عدم تصديقها، بل من باب الاستكبار والحرص على مكتسبات الزعامة ورفض النزول عنها. فقد ورد عن أبي جهل في معرض تفسيره الإصرار على عدم الإيمان بالرسول ومعاداة رسالته قوله: " والله إني لأعلم أن ما يقول حق ولكن بني قصي قالوا فينا الحجابة فقلنا نعم ثم قالوا فينا القرى فقلنا نعم ثم قالوا فينا الندوة

---

(١) البقرة : ١٤٦.

فقلنا نعم ثم قالوا فينا السقاية فقلنا نعم ثم أطعموا وأطعمنا حتى إذا تحاكت الركب قالوا منا نبي والله لا أفعل "[1].

والواقع إن المنطق ذاته يمكن أن ينطبق على الحالة الغربية اليوم. فمن المعروف أن الغرب يتبنى الكثير من السلوكيات الخاصة به، التي ترتبط في كثير منها بالنظام الرأسمالي ومبادئه البراغماتية[2] الساعية إلى تعظيم الربح واللذة والمنفعة الخاصة، وتدخل في الوقت نفسه ضمن دائرة الحريات الاجتماعية والاقتصادية المعترف بها هناك من قبيل: حرية المقامرة، وتناول الكحول، والاشتغال بالربا، وقوننة ممارسة البغاء والعلاقات الجنسية المثلية، والسماح بالعلاقات الجنسية خارج إطار الزوجية ... الخ. وبكل تأكيد، لا يمكن أن تحظى مثل تلك السلوكيات بمباركة الدين الإسلامي، الذي يعدها ومثيلاتها من المحرمات التي يستدعي اقترافها التجريم والعقاب. ومن ثم، فإن من الطبيعي أن يجد كثير من أبناء العالم الغربي في الإسلام وتعاليمه تهديداً صارخاً لما يعتبرونها حريات أساسية، لا ينبغي المساس بها أو التفريط فيها.

وتتداخل التعارضات المصلحية والحضارية لترسيم شكل العلاقة بين الإسلام والغرب إلى حد بعيد. فبينما يمكن الإقرار بأن الصراع الذي يحكم علاقة العالم

---

(١) أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، المصنف في الأحاديث والآثار (مصنف ابن أبي شيبة) ، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد . الرياض . المملكة العربية السعودية سنة ١٤٠٩هـ ط ١ج٧ ص٢٥٥.

(٢) يترجم مصطلح البراغماتية إلى العربية بمصطلح الذرائعية، ولكن هذه الترجمة غير دقيقة, لأنها لاتعكس جوهر الكلمة الأجنبية، بل تقدم جزءاً من معناها فقط. أما المصطلح العربي الأقرب إليها فهو "النفعية"، وتعرف البراغماتية بأنها طريقة حل المشكلات والقضايا بواسطة وسائل عملية. وهذا التعريف وسيلة براغماتية بحد ذاته، لأنه محاولة لإخفاء جوهرها، القائم على قياس كل عمل أو شيء، أو حالة، بما تحققه من فائدة أو ضرر، فالشيء جيد وصالح إذا كان نافعاً، وهو سيىء إذا كان ضاراً. والسؤال هنا هو من يقرر الفائدة والضرر؟ إنه الشخص المعني معتمداً على معاييره الخاصة كأداة لتقييم الأعمال والأشياء، ومن ثم يفقد الشيء خصائصه الموضوعية، " مثلاً الحق يصبح نسبياً، حسب الشخص المتعامل معه، وليس حالة تحددها عوامل موضوعية"، ويصبح عرضة لثقافة ومزاج ومصالح ونوعية قيم الشخص ذاته.

ـ ينظر: صحيفة الجماهير، مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر حلب . سوريا . الاثنين٧-٧-٢٠٠٨.

الغربي بالإسلام يستند في جزء منه إلى اختلافات حضارية عميقة ضاربة بجذورها في التاريخ، كما تزعم نظرية "صراع الحضارات" الشهيرة لصاحبها المنظر الأمريكي "صامويل هنتجتون"[1]؛ فإن من الممكن أيضاً القول إن جزءاً مهماً من ذلك الصراع يرتكز إلى تضارب المصالح بين الإسلام والغرب، بحيث يبدو هذا الأخير على درجة من الاستعداد للقبول بإسلام (معتدل) . على الطريقة الغربية . يضمن مصالحه السياسية والاقتصادية ولا يشكل تهديداً لها[2].

رابعا: الخلط بين الدين الإسلامي وواقع المسلمين:

لا يخفى على أحدأن الأمة الإسلامية تعاني منذ قرون عديدة واقعاً مأزوماً على مختلف الأصعدة والمستويات: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وهو ما ينعكس في وقوف تلك الأمة في ذيل سائر أمم الدنيا على صعيد الإسهام الحضاري والمشاركة في ارتقاء الإنسانية وتقدمها. فعلى المستوى السياسي، عصفت الحروب والنزاعات المسلحة وما تزال تعصف بأرواح الآلاف من أبناء العالم الإسلامي كل عام، كما هي الحال في كل من فلسطين والعراق وأفغانستان والصومال على سبيل المثال. وتبدو الدول الإسلامية عاجزة عن فعل الكثير من أجل إيقاف تلك الصراعات. كما ما يزال العديد من الدول الإسلامية تخضع بشكل أو بآخر لقوى أجنبية تصادر حريتها وتحد من إمكانات استقلالها الفعلي.

وعلى الصعيد الاقتصادي، تشير الإحصائيات إلى أن أكثر من نصف مليار مسلم يعيشون تحت خط الفقر، وهذا يعني أن أكثر من ثلث سكان العالم الذين يعيشون تحت مستوى خط الفقر هم من أبناء العالم الإسلامي، على الرغم من كل ما تتمتع به دول ذلك العالم من ثروات بشرية وطبيعية هائلة[3]. الأمر الذي يوجه الأنظار إلى ما تكابده تلك الدول من استشراء الفساد وسوء الإدارة واختلال العدالة

---

(١) ينظر: صامويل هنتجتون، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب ١٩٩٩م ط٢ ص١٠٣. ١١٦.

(٢) ينظر: صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، لصامويل هنتجتون، مرجع سابق ص١٠٣-١١٦.

(٣) أسماء ملكاوي، "حالة العالم الإسلامي: أرقام ومؤشرات"، مقالة منشورة في موقع الجزيرة شبكة المعلومات العالمية على الرابط: http://www.aljazeera.net/.

في توزيع الموارد والثروات. ليس هذا فحسب، بل إن دولاً إسلامية عديدة قد اجتاحها شبح المجاعات وافترس وحش الجوع مئات الآلاف من أبنائها، كما جرى ويجري في الصومال، على سبيل المثال.

وفي المجال الاجتماعي، يمكن الحديث، بوجه عام، عن معاناة دول العالم الإسلامي من تفاوتات طبقية صارخة تتفاقم حدتها عاماً بعد آخر، فضلاً عن تصدع بناها المؤسسية التقليدية مع العجز عن إيجاد بناءات حديثة قادرة على الإنجاز الناجح الفعال، وانحطاط مكانة المرأة، وتهميش دور الشباب، وضعف الاهتمام بالأطفال، ناهيك عن اهتزاز المنظومات القيمة وتخلخلها تحت وطأة القيم الغربية الغازية.

وعلى الصعيد الثقافي، يبدو العالم الإسلامي منقطعاً بصورة شبه تامة عن الثورات المعرفية والمعلوماتية والعلمية التي يشهدها العالم، فيبدو الأقل إسهاماً في تلك الثورات، سواء على مستوى الإبداع أو التطوير، ليغدو في أفضل الحالات مستهلكاً نهماً، وبصورة استعراضية فجة، لما تنتجه تلك الثورات من تطبيقات وتقانات!. إزاء الواقع المتردي الذي يتخبط فيه العالم الإسلامي، ومع أخذ الجهود الصهيونية والاستعمارية في تعميق ذلك الواقع وإبرازه وتضخيمه بعين الاعتبار، يغدو من الطبيعي انبعاث حالة من الشعور التلقائي بين الإسلام من جهة، والفقر والتخلف من جهة أخرى، ليتم تحميل الإسلام جرائر ضعف أبنائه وتخلفهم. وعليه؛ يبدو أن من العسير أن يتعاطف الغربي الذي لا يعرف إلا صورة مشوهة عن الإسلام مع هذا الدين، بل إن من الطبيعي أن يتخذ منه ـ وهو يظنه سبباً رئيساً لتخلف أرجاء واسعة من العالم ـ موقفاً سلبياً عدائياً، ويولي جزءاً من اهتمامه لمحاربته واستئصال شأفته!.

خامساً ـ تبني صورة نمطية سلبية للمسلمين[1]:

في كثير من الأحيان يتم الخلط بين الأفكار ومعتنقيها، فيتم عزو ما يقترفه هؤلاء من أخطاء وتجاوزات إلى الأفكار التي يزعمون تبنيها. وهذا يظهر واضحاً

---

(١) الصورة النمطية تعني الحكم الصادر لوجود فكرة مسبقة في شيوع فكرة معنية عن فئة معينة ،فيقوم المدعي بالباسها صفة العمومية . ينظر : الموسوعة الحرة ويكيبيديا، الصورة النمطية ، شبكة المعلومات العالمية على الرابط: http://ar.wikipedia.org/wiki.

تماماً في حالة الإسلام والمسلمين، إذ يتم تحميل الإسلام مسؤولية السلوك غير السوي الذي يصدر عن بعض المسلمين. وبالإضافة إلى الجهل بحقيقة الإسلام، كما سلفت الإشارة، فإن من مصلحة الكثيرين من أنصار التوجهات الاستعمارية والصهيونية استغلال السلوك السيء للمسلمين للنيل منهم ومن دينهم، وإثبات صحة الصور النمطية المرتسمة في أذهان الكثيرين من أبناء الغرب عنهم. وبتسليط الضوء على تلك الصور النمطية الماثلة في الذهنية الغربية عن المسلمين، التي تطورت عبر قرون طويلة، فإنها تسقط على الشخصية المسلمة كماً هائلاً من الافتراءات والخيالات المريضة، فتصورها بالجشع والنهم والغباء والسفه والمكر واحتقار المرأة والتكالب على الشهوات ..الخ. وقد لعبت السينما العالمية ووسائل الإعلام المغرضة التي تخضع لسيطرة واضحة من جانب الدوائر الصهيونية في العالم دوراً أساسياً في ترسيخ معالم تلك الصور النمطية وتضخيمها وتعميمها، حتى غدت بمثابة الحقائق الثابتة التي لا تحتمل النقاش، التي تحكم تعاطي كثير من أبناء الغرب مع الإسلام والمسلمين![1]. وللحقيقة، فقد لعب بعض أبناء المسلمين أنفسهم دوراً لا يستهان به في تصديق تلك الصور النمطية الشائهة، وذلك عن طريق سلوكهم المتخلف والمنحرف أثناء تجوالهم في عواصم الدنيا، مقدمين بذلك الأنموذج الأسوأ عن الشخصية المسلمة، ومن ثم عن الإسلام نفسه!. كما كان للتطبيق المتزمت للإسلام، الذي يركز على الشكل على حساب الروح والمضمون، من جانب بعض أنظمة الحكم والجماعات التي تزعم اتخاذ الإسلام منطلقاً للتشريع، نصيب في عملية الإساءة إلى الإسلام وتخويف الناس منه. إذ أظهرته تلك الأنظمة وكأنه جلاد قاس متحجر يطارد الناس لسلب حرياتهم وحرمانهم من كل مظاهر البهجة، وإجبارهم على إتيان الفرائض والطقوس الدينية على الرغم منهم!.

---

(١) يقول " جاك شاهين" : (إن هوليود . وهي مدينة السينما الأمريكية . قدمت منذ حرب الخليج الثانية ما يزيد على أربعين فلما غالت هذه الأفلام كلها في تشويه سمعة العرب، إذ عرضت شريطا لا ينتهي من الصور التي يبدو فيها العرب أشبه بشعوب منقرضة لشدة تخلفهم، ويمثلون في الوقت ذاته خطرا رهيبا يتهدد الآخرين ولم تروح مشاهدها الوهاجة المتكررة عن أنفس الجمهور ببراءة، بل وجهته إلى كراهية هذا ومحبة ذاك ضاربة مبدأ المساواة بالحائط).

ـ نقلا عن كتاب: صورة الإسلام في الإعلام الغربي د. عبد القادر طاش ، مرجع سابق ص٨.

وجاءت التفجيرات المدوية على أهداف مدنية في عدد من البلدان الغربية، كالولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وإسبانيا، والإسلامية أيضاً، كالسعودية ومصر وباكستان والأردن وما جرى ويجري في العراق، التي تبنتها جماعات تزعم انتماءها للإسلام، كتنظيم القاعدة بتفرعاته، لتصب في تيار تصعيد المخاوف من الإسلام، ولتعطي لأعدائه المزيد من المبررات لمحاربته وتضييق الخناق عليه، بحجة مسؤوليته المباشرة عن توليد الإرهاب والإرهابيين!.

المبحث الثالث: مواجهة الاسلاموفوبيا فكريا.

لمواجهة أي خطر فكري أو مادي لابد من وضعه تحت مجهر الحقيقة لمعرفة أسبابه ودوافعه ثم الانطلاق بعزم ممنهج لمعالجة تلك الأسباب والدوافع وتجفيف منابعه بمواجهتها فكريا، ولظاهرة الاسلاموفوبيا منابع كثيرة تسهم بصورة مباشرة، في تغذية وترويج العداء بين الإسلام والغرب، وإذكاء جوانب التخوف والرهبة من الإسلام والمسلمين لعل أهمها.

١ـ المنظرين والمفكرين الغربيين . المستشرقين وغيرهم . ، الذين يدعون إلى أفكارهم، في نظريات ومؤلفات وكتب، لها تأثيرها السلبي على المتلقي الغربي، في رسم صورة مفترضة للعدو القادم الجديد، على شكل تنبؤات ونظريات، تتحدث بصراحة، عن الإسلام كعدو حتمي للغرب، بعد سقوط الإمبراطورية الشيوعية، وزوال خطرها، ويكفي أن يقرأ القارئ ما تزخر به صحف الغرب ووسائل إعلامه عبر المئات من التحقيقات والمقالات والتحليلات الصحفية والبرامج والتقارير الإذاعية والتلفزيونية بعناوين: "الإسلام المقاتل" " انفجار الإسلام" " خطر الإسلام" " الإرهاب الإسلامي " "المارد الإسلامي " وغير ذلك مما يؤكد الصورة النمطية المشوهة عن الإسلام ويثير مشاعر الكراهية ضد المسلمين[١].

---

(١) ينظر: صورة الإسلام في الإعلام العربي د. عبد القادر طاش مرجع سابق ص١٣.

وهنا لابد من مواجه هذه الافتراءات بمشروع نقدم فيه للغرب وعلى نطاق واسع الشهادات المنصفة للإسلام من العلماء والمفكرين من أبناء الغرب أنفسهم[1]، فمثل هذه الشهادات سيكون لها دور كبير في كشف الزيف الذي تبنته حملات العداء والتشويه للإسلام.

وكذلك يجب على المفكرين والدعاة أن ينبروا لمهمة توضيح وبيان الإسلام والدعوة إليه بكثافة توازي؛ أو تكاد توازي، حجم التشويه الذي يتعرض له الإسلام كل يوم هناك، فالحل يكمن في الحجج والبراهين الدامغة التي تناقض وتدحض هذا الرأي مما يتطلب أن يكون المسلم المعاصر على بينة بدينه وبما يجري حوله وعلى وعي بم يُكتب في الغرب عن دينه وحضارته وتاريخه وعلى إدراك للأسباب البعيدة للمواقف الغربية عن الإسلام حتى لا يقف عند الظواهر السطحية ولكي يتسنى له تصحيح المسار[2].

٢ـ وسائل الإعلام الغربية، لقد عملت وسائل الإعلام الغربية والتيتُدار من قبل أطراف يهودية أو ذات ميول يهودية معروفة، سواء كانت بصرية أو سمعية أو إيحائية، على ترسيخ صورة المسلم في ذهنية المتلقي، بلباسه التقليدي، ولحيته الكثة، ووجهه الغاضب، وولعه الأزلي، بالجنس والمال والسلاح، وصورت البلاد الإسلامية بأنها تعج برؤوس المآذن الصاروخية، والإبل، وغرف الحريم، وصورت المسلم كإرهابي وضيع لا يتورع عن قتل الأطفال والنساء والشيوخ الأبرياء[3]، في سبيل لفت الأنظار، واستعداء الرأي العام فضلا عن الساسة والمتنفذين.

وكل ذلك يتطلب منّا، وضع إستراتيجية طويلة الأمد لإعلام إسلامي موجه يوازي؛ أو يكاد آلة الإعلام الغربية المضللة، لتغيير وتحسين تلك الصورة المستفزة، وان لا يكتفي هذا الإعلام بالرد؛ بل يتسم بالمبادرة لعرض الإسلام بكل الصور المباشرة وغير المباشرة. وفي هذا المجال علينا أن لا نتخذ خندق الدفاع كقاعدة

---

(١) ينظر: للباحث، الدور الحضاري المنشود للمسلم المعاصر (بين عوامل النجاح وعوائق التحدي)، المطبعة المركزية / جامعة ديالى . العراق . ١٤٣٢م . ٢٠١١م ط١، ص٢١٧ . ٢٢٤.

(٢) ينظر: الإسلام في تصورات الغرب، د. محمود حمدي زقزوق، مكتبة وهبة، القاهرة . مصر. ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م ط١ ص٤.

(٣) ينظر ما عج به كتاب صورة الإسلام في الإعلام الغربي د. عبد القادر طاش مرجع سابق .

وحيدة لانطلاقتنا بل يجب أن نتعدى ذلك إلى الهجوم على الفكر العنصري الدموي الذي تزخر به المواريث الدينية والحضارية لدى الغربيين، وان نذكرهم دائما بان الشرق قد تعرض لإرهاب الغرب واستعماره ونهبه قبل الإسلام وبعد ظهور الإسلام، فالقضية أقدم من الإسلام[1]، وان نوضح الواقع الاستعماري فالشركات عابرة القارات تنهب ثروات العالم الإسلامي بأرخص الأسعار والقواعد العسكرية الغربية تغطي اغلب بلاد العالم الإسلامي لحراسة النهب الاقتصادي والعدوان على سيادة الدول الإسلامية، والأساطيل الحربية تحتل بحارنا ومحيطاتنا، كل هذا حاصل في الواقع بينما لا تجد جنديا مسلما ولا شركة إسلامية، ومع ذلك يتحدثون عن عدوانيتنا وإرهابنا غافلين عن حقائق التاريخ والواقع[2].

٣ـ أصحاب الفهم الاختزالي لنصوص الكتاب والسنة، الذين يوحون بأقوالهم وأفعالهم بان شجرة الإسلام، لا تنمو إلا بين برك الدماء، ولا تورق إلا موتا ودمارا وعنفا، ويتمسكون بقشور لا قيمة لها، ويدعون التمثيل الرسمي والوحيد للدين الإسلامي، وهم يخدمون بعلم أو بغير علم، ثقافة كراهية الإسلام، برسم صورة حرفية لفكرة أن الإسلام هو العدو الحتمي المتخلف للحضارة الغربية.

وهنا يجب التركيز على رفع الركام بصورة تدريجية عن الصورة الواقعية لحقيقة الإسلام وإبراز الوسطية والاعتدال في الفكر الإسلامي والتي تمثل التيار الأوسع، وأن نقدم للإنسان الغربي مشروعا للتعريف بالإسلام نترجم فيه الفكر الإسلامي

---

(١) فالغريق والرومان والبيزنطيون قد احتلوا الشرق وقهروه حضاريا ودينيا وثقافيا ولغويا عشرة قرون من الاسكندر الأكبر (٣٥٦ . ٣٢٤) ق. م القرن الرابع قبل الميلاد وحتى هرقل (٦١٠ . ٦٤١م) في القرن السابع للميلاد ولما حرر الإسلام الشرق من القهر الاستعماري عاد الغرب فشن عليه حملاته الصليبية التي دامت قرنين من الزمان (١٠٩٦ . ١٣٩١م)، ولما عاد المسلمون لتحرير الشرق من جيوش الصليبيين عاد الغرب ومنذ سقوط غرناطة (١٤٩٢م) ليستعمر العالم الإسلامي ولا زلنا نعاني من آثار الاستعمار الحديث التي مضى على بدايتها خمسة قرون.

. ينظر: الإسلام والغرب افتراءات لها تاريخ (دراسة حول الإساءات الغربية الأخيرة للإسلام) للأستاذ الدكتور محمد عمارة مرجع سابق ص١٠ . ١٣.

(٢) ينظر: الإسلام والغرب افتراءات لها تاريخ (دراسة حول الإساءات الغربية الأخيرة للإسلام) للأستاذ الدكتور محمد عمارة مرجع سابق ص١٠ . ١٣.

الوسطي وان تتبري لهذا المشروع المؤسسات والجامعات والجمعيات والمنتديات الإسلامية كافة.

وحتى يتسنى لنا مواجهة ما سبق يجب إعطاء الدين وزنا أكبر في المناهج الدراسية، وفي وسائل الإعلام المختلفة، وفق إستراتيجية معدة سلفا من قبل ذوي الاختصاص من المفكرين والمنظرين من أصحاب الفكر الإسلامي الوسطي وأن يكون لهم دور أكبر ونافذة أوسع، في واجهة الإسلام الإعلامية، فالمفكر المسلم، لا يقل ثقافة ولا شأنا عن المفكر الغربي، إن أتيحت له الفرصة الكاملة للترويج لهويته وفكره الحقيقي.

لنعد من حيث بدأنا في ما يخص موجة (الإسلاموفوبيا) وتزايد مشاعر الكره للإسلام والمسلمين ، والعلاقة المتأزمة الحالية – التي إذا ما استمرت – ستقود إلى الكثير من الصراعات والاحتدامات ، والتي ستخلف الكثير من القضايا الصعبة التي ستعصف بنا ، كوننا الطرف الأضعف في المعادلة ، ففي رأيي المتواضع أن الوقت قد حان للبحث عن حل جوهري، يحررنا من تهمة الإرهاب والفكر التآمري الذي يقوم على مبدأ الصراع والكراهية، لنحظى بفسحة كافية من الوقت، لحل قضايانا ومشاكلنا الداخلية فيما بيننا، ولنعيد لأنفسنا الثقة في مقدرتنا مجددا على النهوض بحضارة جديدة، تتعاون مع حضارة الغرب لا أن تصطدم بها، لتساهم من جديد في نهضة العالم ككل، من خلال جهد دعوي شامل لكل الوسائل والإمكانات المتاحة بصبر ورويه متواصلين آخذين بنظر الاعتبار أن تراكمات قرون طويلة من الزيف لا يمكن أن تنجلي بأيام أو شهور قلائل وذلك من خلال:

١ـ تبني بعض البرامج العلمية المنظمة لتوعية المواطن الغربي على نطاق واسع ومدى طويل نسبيا، بصورة الإسلام والمسلمين الصحيحة. والواضح هنا أن العالم الإسلامي مازال يفتقر بوضوح لتلك البرامج بعد مرور ما يزيد على عشر سنوات على أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول ٢٠٠١.

٢ـ التعاون مع الأقليات المسلمة في الدول الغربية لتأهيل وتدريب أكبر عدد من السفراء المدنيين القادرين على تقديم صورة الإسلام الصحيحة للمواطن الغربي بشكل يومي ومحلي ومؤسسي منظم. فبدون عدد كاف من هؤلاء السفراء وبدون اضطلاعهم بدورهم المنتظر في التواصل مع نظرائهم الغربيين على أرض

المجتمعـات الغربيــة ذاتهـا، تكـاد تكـون مواجهــة الإســلاموفوبيا أمـرا بعيـد المنــال إن لــم يكن مستحيلا.

الخـــاتـمـــــة :

ظـاهرة الخـوف مـن الإسـلام معقـدة الأبعـاد. ومـن ثـم فـإن التعامـل معهـا يسـتوجب تضـافر كـل الجهـود الممكنـة فـي العـالم الإسـلامي مـن أجـل الخـروج بإسـتراتيجية شـاملة، ترتقـي بإحكامهـا وشـمولها إلـى مسـتوى تلـك الظـاهرة البالغـة الخطـورة، التـي تقـف عقبـة جديـة أمـام تمكـن دول العـالم الإسـلامي مـن إقامـة علاقـات إيجابيـة لـيس مـع بقيـة دول العـالم ـ وبخاصـة الـدول الغربيـة وحسـب ـ، بـل فيمـا بينهـا ومـع أبنائهـا أيضـاً. غيـر أن الخـروج بتلـك الإسـتراتيجية المنشـودة يسـتوجب العمـل علـى تحديـد معـالم المنظومـة التـي سـتنظم سـبل التعامـل مـع تلـك الظـاهرة، وتضـمن الانطـلاق فـي ذلك من صف متضامن موحد.

إن مـن المسـتبعد أن يـتمكن العـالم الإسـلامي مـن مجابهـة وعـلاج ظـاهرة خـوف الآخـر مـن الإسـلام، مـا دام هـو نفسـه يعـيش نوعـا منهـا!. وعلـى الـرغم مـن فـأن الخطـوة الأولـى إلـى ذلـك تتمثـل فـي وجـوب الإقـرار الفعلـي مـن جانـب المجتمعـات الإسـلامية بـأن الإسـلام هـو الإطـار العـريض الـذي تنتسـب إليـه. إذ بـدون ذلـك يغـدو انتسـاب تلـك المجتمعـات إلـى الإسـلام واعتبارهـا (مجتمعـات إسـلامية) محـض لغـو لا طائـل منـه، مـا لـم يشـكل الإسـلام بالفعـل الأرضـية التـي تنطلـق منهـا المجتمعـات الإسـلامية فـي تعريـف نفسـها وتحديـد هويتهـا الحضـارية، مقارنـة بالهويـات الحضـارية الأخـرى. فـلا يكـون الانتسـاب مجـرد شـعارات مثاليـة، يـتم ترديـدها فـي الخطـب والمـؤتمرات. بـل ينبغـي أن يعبـر عـن هويـة حقيقيـة تـتم ترجمتهـا إلـى أفعـال ملموسـة، وهـذا هـو السـبيل الأمثـل، لإبـراز الهويـة الحضـارية المتميـزة للإسـلام، وصـونها مـن أخطار التهميش والتشويه.

إن الإسـلام، وهـو الـذي وقـف خلـف صـنع حضـارة بالغـة القـوة والرقـي والتميـز، لـم يـأت ليكـون مجـرد ديـن روحـاني لا شـأن لـه إلا بـأمور الآخـرة. بـل جـاء ليكـون دينـاً شـاملاً يـنظّم لأتباعـه كـل جوانـب حيـاتهم: الاقتصـادية والسياسـية والاجتماعيـة والثقافيـة والروحيـة، وعليـه؛ فقـد يكـون مـن أفضـل السـبل لمواجهـة ظـاهرة الخـوف مـن الإسـلام بعـث الحيـاة فـي الجوانـب الحضـارية للإسـلام، عبـر إبـراز أبعـاده المشـرقة وتجليتهـا للعـالم، وفـتح بـاب الاجتهـاد علـى مصـراعيه، انطلاقـاً مـن منطـق المبـادرة الفاعلـة الواثقـة بقـوة هـذا الـدين وإمكاناتـه الرحبـة غيـر المتناهيـة، ولـيس مـن منطـق ردة الفعـل

الإعتذارية الخجولة، الذي يحكم حتى الآن تفاعل العالم الإسلامي مع معظم التحديات التي تعترض سبيل تقدمه!.

هناك حاجة ملحة للتعرف إلى الإسلام، من جانب أبنائه أولاً، تمهيداً لتعريف العالم به. وهذا يتطلب جهوداً حثيثة صادقة من لدن الحكومات الإسلامية لتعريف الناس بجوهر دينهم وتعاليمه الحقيقية. مع ما يرتبط بذلك من وجوب وضع تلك التعاليم موضع التطبيق الفعلي، سعياً إلى تجاوز حالة النفاق والتذبذب والتنافر المعرفي التي تعيشها المجتمعات الإسلامية، نتيجة التأرجح بين الإيمان بمبادئ عقدية وعدم القدرة على الالتزام السلوكي بها!.

وبكل تأكيد، فإنه ليس من الحكمة إحجام العالم الإسلامي عن تعريف أمم الأرض بالإسلام إلى أن يحسم مشكلاته الداخلية المتشابكة المتعلقة بهذا الدين. بل إن من الحكمة المسارعة إلى بذل قصارى الجهود الممكنة لتقديم الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة إلى أكبر عدد ممكن من الناس على امتداد المعمورة. إذ تثبت الآلاف المؤلفة من الذين يدخلون في الإسلام كل عام في أرجاء الأرض . على الرغم من الواقع المزري للمسلمين . أن البشرية التائهة تتعطش إلى التفيؤ تحت ظلال الدين الذي ارتضاه الله خاتماً للأديان والرسالات، بعد أن أضناها اللهاث في بيادي التيه والعبثية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

أولا: الكتب العربية والمترجمة

١. القرآن الكريم.

٢. أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، المصنف في الأحاديث والآثار (مصنف ابن أبي شيبة) ، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد . الرياض . المملكة العربية السعودية سنة ١٤٠٩هـ ط ١ج٧.

٣. أحمد عبد الرحيم السايح، الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية – القاهرة – مصر ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م ، ط١.

٤. إدوارد سعيد. الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة د. محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع القاهرة . مصر . سنة ٢٠٠٦م ط١.

٥. الإسلام في تصورات الغرب، د. محمود حمدي زقزوق، مكتبة وهبة، القاهرة . مصر. ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م ط١.

٦. بطرس البستاني، معارك العرب في الشرق والغرب، دار مارون عبود، بيروت ـ لبنان ـ سنة ١٩٨٧م طبعة جديدة.

٧. زكي الميلاد، نحن والعالم: من أجل تجديد رؤيتنا إلى العالم، مؤسسة اليمامة الصحفية الرياض . المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٥م.

٨. شوقي أبو خليل الإسلام في قفص الاتهام، دار الفكر دمشق . سورية . ١٤٠٢ هـ . ١٩٨٢م، ط٥.

٩. صامويل هنتنجتون، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب ١٩٩٩م ط٢.

١٠. عبد القادر طاش، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، الزهراء للإعلام العربي القاهرة . مصر . سنة١٤١٤هـ . ١٩٩٣م ط٢.

١١. عبد اللطيف الطيباوي، المستشرقون الناطقون بالانجليزية، ترجمة وتقديم قاسم السامرائي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية– المملكة العربية السعودية – ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

١٢. عبد الله يوسف سهر محمد، مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، العدد٥٧ ٢٠٠١م ط١.
١٣. علي بن إبراهيم النملة، مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض– المملكة العربية السعودية – سنة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
١٤. علي بن نايف الشحود، موسوعة الأسرة المسلمة، من المكتبة الالكترونية الشاملة، الإصدار الثالث، ج٢.
١٥. علي محمد الصلابي، السلطان محمد الفاتح وعوامل النهوض في عصره، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع – الإسكندرية – مصر.
١٦. لوبون، غوستاف. حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ـ مصر ـ سنة ٢٠٠٠م ط٢.
١٧. محمد عمارة: الإسلام في عيون غربية (بين افتراء الجهلاء .. وإنصاف العلماء)، دار الشروق القاهرة مصر بدون تاريخ.
١٨. محمد عمارة، الإسلام والغرب افتراءات لها تاريخ (دراسة حول الإساءات الغربية الأخيرة للإسلام)، مركز الإعلام العربي الجيزة ـ مصر. ١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦م، ط١.
١٩. مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ترجمة غريب محمد، مكتبة العبيكان الرياض . المملكة العربية السعودية ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م ط٢.
٢٠. منير العكش، حق التضحية بالآخر.. أمريكا والإبادات الجماعية، دار رياض الريس للكتب والنشر، بيروت ـ لبنان ـ ٢٠٠٢م.
٢١. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي – الرياض – ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م ط٢.
٢٢. ياسين مهدي صالح، الدور الحضاري المنشود للمسلم المعاصر (بين عوامل النجاح وعوائق التحدي)، المطبعة المركزية / جامعة ديالى . العراق . ١٤٣٢م . ٢٠١١م ط١.
٢٣. يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الأمريكية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ـ لبنان ـ سنة ٢٠٠٠م.

ثانيا: الصحف والمجلات

٢٤. احمد الشيشاني، ماهي الفوبيا ،أنواعها، أسباب الإصابة بها ، وسبل العلاج منها، مجلة الابتسامة، شبكة المعلومات العالمية على الرابط:
.http://www.ibtesama.com/vb/showthread-t_7098.html

٢٥. باسيل يوسف بجك، "قراءة قانونية لمستقبل وحدة شعب العراق"، المستقبل العربي، العدد ٣٢٣ (كانون الثاني ٢٠٠٦).

٢٦. جميل مطر، "حوار الحضارات .. السياسي أولاً"، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٢٥ (آذار ٢٠٠٦).

٢٧. جواد طالب، مجلة الحوار المتمدن محور: الطب ، والعلوم- العدد: ١٢٦٠ ١٩/ ٧/ ٢٠٠٥م.

٢٨. صحيفة الجماهير، مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر حلب . سوريا . الاثنين٧-٧-٢٠٠٨.

٢٩. علاء فرغلي استشاري الطب النفسي، الرهاب – الفوبيا (المخاوف المرضية)، مجلة النفس المطمئنة السنة الثامنة عشر –العدد (٧٤) أبريل/ ٢٠٠٣

٣٠. فهمي هويدي،. "إهانة نبي الإسلام تجدد السؤال: من يكره من؟"، جريدة الشرق الأوسط، العدد ٩٩١٣ (١٨ كانون الثاني ٢٠٠٦).

٣١. مازن مريزة، فوبيا الإسلام، جريدة الرفاعي نت الالكترونية ، شبكة المعلومات العالمية على الرابط:
.http://alrefiey.net/ar/index.php/permalink/2473.html

ثالثا: الشبكة العالمية للمعلومات

٣٢. "الأندلس بعد سقوط غرناطة: ماذا حدث لأمة الإسلام وفارس الأندلس الأخير، مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني (الأندلس للأخبار) على الرابط التالي:
http://press.arabandalucia.com/?p=1081

٣٣. أحمد تمام، معركة اليرموك وانحسار دولة الروم، مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني (إسلام أون لاين) على الرابط التالي:
http://www.islamonline.net/Arabic/history/

٣٤. أسماء ملكاوي، "حالة العالم الإسلامي: أرقام ومؤشرات"، مقالة منشورة في موقع الجزيرة شبكة المعلومات العالمية على الرابط: http://www.aljazeera.net/.
٣٥. حفيظ الرحمن الأعظمي، "أخطبوط التنصير يجتاح أفغانستان"، مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني (الحقائق) على الرابط التالي:http://www.alhaqaeq.net.
٣٦. مدونة النضال ضد الطابور الخامس، صعود الاسلاموفوبيا في المجتمعات الغربية، شبكة المعلومات العالمية على الرابط: http://anti-tabour-5.blogspot.com.
٣٧. مراد بطل الشيشاني، "المجتمع الأمريكي بعد ١١ سبتمبر"، مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني (الجزيرة) على الرابط التالي: http://www.aljazeera.net/NR/exeres/647C5FC5-657D-465D-A995-09D53CF8D25F.htm
٣٨. مشاعر ساكنة، مقال الإسلام ليس مئذنة .. أنه عقيدة، شبكة المعلومات العالمية على الرابط: http://www.ar7aif.net/vb/showthread.php?t=935
٣٩. مصطفى أبو المجد، قراءة في كتاب فندلي بول. من يجرؤ على الكلام، مدونة السهم شبكة المعلومات العالمية على الرابط: http://www.elaphblog.com.
٤٠. الموسوعة الحرة ويكيبيديا، أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ، شبكة المعلومات العالمية على الرابط: http://ar.wikipedia.org/wiki.
٤١. الموسوعة الحرة ويكيبيديا، الصورة النمطية ، شبكة المعلومات العالمية على الرابط: http://ar.wikipedia.org/wiki.
٤٢. نظرة الغربيين للإسلام: جانب من الدراسات الغربية التي تناولت الإسلام"، مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني (بلاغ) على الرابط التالي: http://www.balagh.com/mosoa/garb/uq0xm36j.htm.